Sudan Rights Watch Network

أكثر من 500 يوم من الحصار.. الأهالي بين الجوع والأوبئة والموت البطيء في شمال دارفور

ورقة موقف | 29 اغسطس 2025 - الفاشر

نظرة شاملة:

منذ أكثر من ستة عشر شهراً، ترزح مدينة الفاشر، عاصمة شمال دارفور، تحت حصار خانق فرضته قوات الدعم السريع، فتحوّلت المدينة إلى مسرح مأساة إنسانية وحقوقية متفاقمة يدفع ثمنها الآلاف من النساء والأطفال وكبار السن والمرضى قبل غيرهم. ووفقاً لتقرير حديث أصدرته "اليونيسف" مؤخراً، فإن أكثر من ربع مليون مدني، بينهم نحو 130 ألف طفل، محاصرون داخل المدينة ومحيطها، فيما نزح ما يقارب 600 ألف شخص، نصفهم من الأطفال والنساء في موجات نزوح مريرة، وقاسية ومكلفة للحياة.

تؤكد "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان"، أن هذه الكارثة ليست نتيجة طبيعية للنزاع المسلّح فحسب، بل هي انعكاس ماسأوي لسياسات ممنهجة تستهدف المدنيين مباشرة عبر التجويع، ومنع وصول المساعدات الإنسانية، واستهداف البنى التحتية الحيوية ولاسيما الأسواق والمرافق الصحية ومصادر المياه. إن ما يجري في هذه الولاية، هو نموذج صارخ للإبادة البطيئة التي تستخدم التجويع كسلاح حرب، وانتهاك صارخ للقانون الدولي الإنساني واتفاقيات جنيف الأربع والبروتوكولات الاضافية، وللحدّ الأدنى من الأخلاق الإنسانية السوية.

الحصار ضد الفاشر ومخيمات النزوح الماثلة في الولاية، لا يمكن فهمه بمعزل عن دوافع الدعم السريع في اخضاع المدنيين للولاء لها بالتزامن مع أهدافها العسكرية والسياسية الساعية نحو تحيد الولاية عن الأطراف المضادة لها في الحرب، ما يفضح انعدام أي وازع أخلاقي وقانوني لديها تجاه حماية المدنيين، ويكشف عن تراكم سياسات الإقصاء والعنف المنظم ضد الأطفال والنساء من قِبل الميليشيات منذ زمن طويل.

انتهاكات جسيمة ممنهجة:

وفقاً لتقرير المنظمة العنية بالطفولة، فإنه، منذ أبريل 2024، تم التحقق من أكثر من 1,100 انتهاك جسيم بحق الأطفال في الفاشر وحدها، وأكثر من ألف طفل قتلوا أو أصيبوا، بعضهم داخل منازلهم أو في الأسواق أو في مخيمات النزوح، و23 طفلاً على الأقل قد تعرضوا للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي، فيما اختُطف آخرون أو جُنّدوا قسراً في جماعات مسلحة.

تشددّ "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان" وفقاً لرصدها ومراقبتها الميدانية وتوثيقها المستمر لاوضاع انتهاكات حقوق الإنسان في اقليم دارفور بأسره، أن هذه الانتهاكات ليست حوادثاً عرضية، بل سياسة رعب منظمة تهدف إلى تدمير النسيج الاجتماعي وإرهاب الأهالي وإفقارهم. تجنيد الأطفال كجنود واستهدافهم، وقصف المدارس والمستشفيات ليس مجرد عمل عسكري، بل جريمة حرب وجريمة ضد الانسانية ممنهجة تهدف إلى تحطيم المجتمعات. العنف الجنسي ضد الفتيات لا يقتصر على الجسد؛ بل يترك آثاراً نفسية واجتماعية طويلة الأمد، ويكرّس دورة العنف للأجيال المقبلة.

الأطفال بين الجوع والموت:

الفاشر بل شمال دارفور بأسرها، اليوم مرآة للمعاناة القصوى خلال حرب أبريل. الأطفال يتضورون جوعاً بعدما أُوقفت برامج التغذية العلاجية بسبب نفاد الإمدادات ومنع إدخال المساعدات. أكثر من 6,000 طفل

مصاب بسوء التغذية الحادّ الوخيم تُركوا لمصائرهم، محرومين من العلاج الغذائي والرعاية الصحية المنقذة للحياة. تشير تقرير "اليونيسيف"، إلى وفيات جماعية صادمة؛ فقد قضى 63 شخصاً، معظمهم نساء وأطفال، خلال أسبوع واحد فقط نتيجة الجوع.

تقرأ الشبكة، أن هذه المأساة ليست مجرد إهمال أو عجز، بل هي استخدام متعمد للتجويع كسلاح حرب ولا سيما من قِبل قوات الدعم السريع بحكم فرضها الحصار على شمال دارفور منذ أبريل 2024، حيث يتكرر نفس النمط من استهداف الأطفال والنساء لإضعاف المجتمعات المدنية التي تراها الأطراف المتحاربة ليسوا موالين لهم دعماً ومساندة وولاء. الجوع لا يقتصر على الإضرار بالجسد فقط؛ بل يترك آثاراً نفسية دائمة ولاسيما على النساء والأطفال، بما في ذلك صدمات، وتأخر النمو العقلي والجسدي، وما يشي بوجود جيل محطّم قد يفقد القدرة على التعلّم والحياة الطبيعية السليمة مستقبلاً.

انهيار منظومة الخدمات الأساسية:

المرافق الصحية والتعليمية والأعيان الاقتصادية مثل الأسواق وسلاسل الإمداد الغذائي التجارية، تحوّلت إلى أهداف متكررة للقصف والنهب والاختطاف والقتل. ويعلن التقرير أن 35 مرفق صحيّ و6 مدارس تعرضت للهجوم، بما فيها مستشفى الأطفال السعودي الذي أصيب أكثر من عشر مرات، وفي يناير 2025، دُمّر المركز العلاجي في مخيم أبو شوك، ليُحرم آلاف الأطفال المصابين بسوء التغذية من العلاج.

توضح "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان"، أن هذا الانهيار الممنهج للخدمات الأساسية إنما يسهم في تكرّيس دورة موت متصاعدة؛ حيث لا صحة ولا تعليم ولا مياه نظيفة، وتتضاعف المخاطر على الأطفال والنساء بمختلف فئات الحوامل، المُرضعات، كبار السنّ، المطلقات، وغيرهن بشكل كارثي غير مسبوق.

إن استهداف الأسواق والمدارس والمستشفيات، سواء في مدينة الفاشر أو في مخيمات النزوح المختلفة ولاسيما مخيم زمزم، أبوشوك وغيرها، ليس مجرد أثر جانبي عادي للحرب، بل هو استراتيجية مقصودة لإضعاف الحياة والمجتمع المدني، وتدمير مستقبل الأطفال الذين يُفترض أن يكونوا أمل المجتمعات في التعافي والتنمية والبناء.

الكوليرا وسوء التغذية: كارثة مزدوجة:

يتزامن استمرار الحصار مع أسوأ تفشٍ لوباء الكوليرا منذ عقود، في البلاد، وبخاصة في اقليم دارفور منذ يونيو المنصرم. وحسب التقرير اليونيسف فإن أكثر من 96 ألف إصابة و2,400 وفاة سُجلت على مستوى السودان منذ يوليو 2024، بينها خمسة آلاف إصابة. وقد رصدت "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان" تسجيل أكثر 2,838 حالة إصابة مؤكدة، بينها 156 وفاة حتى قبل 25 اغسطس الجاري في ولاية جنوب دارفور، وتسجيل منذ بداية التفشي بالمنطقة أكثر من1,430 حالة إصابة مؤكدة، بينها 26 حالة وفاة، فيما لا تزال 220 حالة تخضع للعزل الصحي في ظروف مأساوية، ويتراوح معدل الإصابات اليومي بين 45 حالة إلى 90 حالة في عدة مناطق في شمال دارفور ولاسيما منطقة طويلة حتى 26 يوليو الماضي.

ووسط هذا فإن الأطفال الذين أضعفهم الجوع قد أصبحوا هدفاً سهلاً للأوبئة والأمراض المنقولة بالماء وضعف الصرف الصحي، بما فيها وباء الكوليرا. في مخيمات طويلة وزمزم، كما في الفاشر نفسها، يواجه الأطفال خطراً مركباً: الجوع القاتل والأمراض الفتاكة. في بلدة مليط، حسب تقرير اليونيسف، التي تستقبل آلاف النازحين، وصلت معدلات سوء التغذية إلى أكثر من 34%، وهي نسبة صادمة تكشف حجم الكارثة

بالمنطقة. هذه الظروف تكشف كيف أن التجويع، وفقدان المياه النظيفة، وانتشار الأمراض تشكّل أدوات مضاعفة للإبادة الصامتة، تقتل المدنيين بصمت وببطء.

مسؤوليات الأطراف السودانية والدولية:

تؤكد "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان"، على أن ما يجري في الفاشر ليس مأساةً طبيعية، إنما نتيجةً مباشرة للحصار المفروض، وغياب الإرادة السياسية والوطنية لمعالجة الأزمة العامة بالمتعلقة بحرب أبريل. كل الأطراف السودانية المتحاربة، تتحمل مسؤولية قانونية وأخلاقية في حماية المدنيين، وضمان وصول المساعدات الإنسانية. الصمت أو البطء من قِبلهم لا يمثل تواطؤاً عملياً في استهداف الأطفال، بل أيضاً انخراطاً غير مباشر في جرائم تقع على مرأى ومسمع الجميع.

وكما هو مُلاحظ، فإن المجتمع الدولي والاقليمي، قد يبدوان مكتفيان بدورهما في إصدار بيانات خجولة من حين لآخر، تاركان مئات الآلاف من المدنيين ولاسيما النساء والأطفال رهائن للجوع والمرض والعنف الممنهج. إن استمرار هذا الوضع يمثل وصمة عار على الضمير الإنساني المحلي والاقليمي والعالمي في تقاطع المصالح وتشابك الأجندة، ويعكس ازدواجية المعايير في التعامل مع أزمات الحروب وتداعياتها، حيث سرعة التدخل وفعاليته، تتباين بحسب الموقع الجغرافي والقوة السياسية والدبلوماسية والإعلامية للدولة والفاعلين بمختلف أطيافهم الايدولوجية والاجتماعية وغيرها.

مطالب وتوصيات عاجلة:

انطلاقاً والتزاماً بالمسؤولية الحقوقية والاخلاقية والإنسانية، تؤكد "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان" على ضرورة العمل والتفكير في الآتي:

1. ضرورة رفع الحصار فوراً عن مدينة الفاشر والولاية بأسرها، وضمان حرية وصول المساعدات الإنسانية دون قيد أو شرط.
2. ضرورة إعلان هدنة إنسانية شاملة ومستدامة، تبدأ بالفاشر وتمتد إلى جميع مناطق النزاع بالاقليم والبلاد.
3. ضرورة ضمان إعادة تشغيل وتأمين المرافق الصحية والتعليمية والتجارية مثل الأسواق وسلاسل الإمداد الغذائين باعتبارها أعياناً مدنية محمية وفق القوانين الدولية والاقليمية والوطنية.
4. ضرورة اعداد خطط واتخاذ إجراءات قانونية صارمة لمحاسبة الأطراف المسؤولة عن استخدام التجويع كسلاح حرب، والانتهاكات الجسيمة بحق المدنيين بما فيهم الأطفال، بما فيها القتل، التجنيد القسري، والعنف الجنسي.
5. ضرورة تمكين منظمات الأمم المتحدة والشركاء المحليين من استئناف عمليات الإغاثة وايصال المساعدات إلى مناطق النزاع دون عوائق أو تحديات.

كلمة خاتمة:

تشددّ "شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان" على إن استمرار الحصار على الفاشر وشمال دارفور ككل، لا يعني سوى إطالة أمد مجزرة صامتة تُزهق أرواح الآلاف من المدنيين بما فيهم الأطفال بقية الفئات الأكثر ضعفاً وهشاشة يومياً.

إن التجويع، تفشي الأوبئة، والعنف الجنسي والقائم على النوع الاجتماعي ولاسيما جريمة الاغتصاب ليست تداعيات حرب مستمرة فحسب، إنما أدوات ممنهجة لإخضاع مجتمعات بأكملها. وهنا يظل الصمت والتراخي والبطء على كافة المستويات يضاعف المأساة ويفاقم المعاناة و، ويجعل من الأطفال رهائن جوع ومرض وعنف لا يرحم.

وتصرخ الشبكة داعيةً إلى ضرورة وضع حدّ حاسم ونهائي لهذه الجرائم المركّبة، في هذه اللحظة السياقية الفارقة، قبل أن تتحول الفاشر ومخيمات الولاية، إلى شاهد أبدي على الفشل المطبق في حماية أبسط حقوق الإنسان: الحق في الحياة، ولتظل ذاكرة أزمتها بمثابة نداء عاجل للعدالة الإنسانية والحركة الحقوقية على مستوى العالم.

شبكة مراقبة حقوق الإنسان – السودان
29اغسطس 2025